

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْبُعْدُ التَّرْبَوِيُّ لِشَعِيرَةِ الصِّيَامِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الصِّيَامَ جَنَّةً، وَسَبَبًا مُوَصِّلًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَمَرَ بِتَهْدِيبِ النُّفُوسِ وَتَرْكِيبِهَا بِالصِّيَامِ، وَتَعْوِيدِهَا الْفَضَائِلَ وَتَرْبِيبِهَا بِالْقُرْآنِ وَالْقِيَامِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَمَرَ بِالْإِحْسَانِ وَبَذَلَ النَّدَى، وَالصَّبْرَ عَلَى الْإِسَاءَةِ وَكَفَّ الْأَذَى، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَيَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي بَلَّغَكُمْ هَذَا الشَّهْرَ الْفَضِيلَ، وَمَنْ عَلَيْكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْفَضْلِ الْجَلِيلِ، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١)، وَعَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنْ فَهَّمَ الْمَقَاصِدَ الشَّرْعِيَّةَ، وَفَهَّمَ الْحِكْمَةَ مِنَ الْأَوَامِرِ الدِّينِيَّةِ، دَلِيلٌ عَلَى تَنْزُلِ الرَّحْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَآيَةٌ عَلَى الْفَضْلِ وَالْخَيْرِيَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ (٢)، وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ))، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِ مَوَاسِمَ لِلْخَيْرِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ شَرَفِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ مَا يَسُدُّ بِهِ الْخَلَلَ وَيُقَوِّمُ الْمَعْوَجَّ مِنْ حَيَاتِهِ، وَمِنْ تِلْكَ الْمَوَاسِمِ هَذَا الشَّهْرُ الْفَضِيلُ، وَإِذَا كَانَتْ فَرَائِضُ الْإِسْلَامِ وَأَحْكَامُهُ وَأَوَامِرُهُ وَنَوَاهِيهِ كُلُّهَا سَبِيلًا لِلتَّرَكِّيَّةِ وَالْإِصْلَاحِ، وَسَلَّمًا لِلرُّقِيِّ وَالنَّجَاحِ، فَإِنَّ خُصُوصِيَّةَ الْارْتِبَاطِ بَيْنَ الصِّيَامِ وَجَمِيعِ ذَلِكَ شَيْءٌ عَجِيبٌ، فَشَهْرُ الصَّوْمِ مَوْسِمٌ عَظِيمٌ لِلْمُحَاسَبَةِ، وَمَيْدَانٌ فَسِيحٌ لِلْمُنَافَسَةِ، تَصَفُّو فِيهِ النُّفُوسُ مِنْ دَاخِلِهَا، وَتَقْتَرِبُ فِيهِ الْقُلُوبُ مِنْ خَالِقِهَا، يَرْتَقِي فِيهِ الصَّائِمُ بِقِيَمِهِ الرُّوحِيَّةِ، وَيَقُومُ صِفَاتِهِ

(١) سورة البقرة / ١٨٣ .

(٢) سورة الأنعام / ١٢٥ .

السُّلُوكِيَّةَ، وَيُصَحِّحُ تَصَرُّفَاتِهِ الاجْتِمَاعِيَّةَ، وَيُنَمِّي مُكْتَسَبَاتِهِ الْفِكْرِيَّةَ، وَهِيَ مَكَاسِبُ لَا يَطْفُرُ بِهَا إِلَّا مَنْ عَاشَرَ الصِّيَامَ مُخْلِصًا مُحْسِنًا، وَعَمِلَ عَلَى فَهْمِ مَقَاصِدِهِ مُلتَزِمًا مُؤْمِنًا، وَطَوَّعَ سُلُوكَهُ عَلَى وَفْقِ هَذِهِ الْمَقَاصِدِ الْجَلِيلَةِ، وَحَرَّصَ عَلَى التَّجَاوُبِ مَعَ غَايَاتِهِ النَّبِيلَةِ، وَمِنْ أَجْلِ مَقَاصِدِ الصَّوْمِ تَحْقِيقُ التَّقْوَى فِي وَجْدَانِ الْمُسْلِمِ، بِأَوْسَعِ مَعَانِيهَا وَأَدَقِّ صُورِهَا، لِتَكُونَ صِفَةً لَهُ فِي حَيَاتِهِ كُلِّهَا، فَالْوَاجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَأْخُذَ مِنْ رَمَضَانَ مَدْرَسَةً نَسْتَلْهِمُ مِنْهَا شِدَّةَ الْعَزْمِ وَقُوَّةَ الْإِرَادَةِ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ؛ تَنْظِيمًا لِلْسُّلُوكِ، وَتَقْوِيمًا لِلنُّفُوسِ وَتَهْدِيًّا لِلْغَرَائِزِ، وَصَفَاءً وَتَقَاءً لِلْبَوَاطِنِ وَالظُّوَاهِرِ، وَتَمَسُّكًا بِالْخَيْرَاتِ وَالْفَضَائِلِ، وَتَحَلِّيًّا بِالْمَحَاسِنِ وَالْمَكَارِمِ، حِينَئِذٍ نَخْرُجُ مِنْ رَمَضَانَ بِصَفْحَةٍ مُشْرِقَةٍ بِيضَاءَ نَاصِعَةٍ، مَلُؤَهَا فَضَائِلُ الْأَعْمَالِ وَمَحَاسِنُ الْأَفْعَالِ وَمَكَارِمُ الْخِصَالِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

مِنَ الْأَبْعَادِ التَّرْبَوِيَّةِ لِشَعَائِرِ شَهْرِ الصِّيَامِ، وَمَقَاصِدِهَا الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا شُرِعَتْ فِي الْإِسْلَامِ، تَرْبِيَّةُ الرُّوحِ وَتَنْمِيَّتُهَا، وَإِظْهَارُ سُلْطَانِهَا عَلَى النَّفْسِ وَشَهَوَاتِهَا، فَفِي شَهْرِ الصَّوْمِ تَظْهَرُ قُوَّةُ الرُّوحِ عَلَى الْجَسَدِ، حِينَ يَتْرُكُ الْمُسْلِمُ فِرَاشَهُ لِيَقُومَ بَيْنَ يَدَيِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ، قَالَ تَعَالَى وَاصِفًا عِبَادَهُ الْأَخْيَارَ: ﴿تَجَافَى جُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾^(١)، فِي شَهْرِ الصَّوْمِ تَخَفُّ وَطَأَةُ الشَّهَوَاتِ عَلَى النَّفُوسِ الْمُؤْمِنَةِ، وَتُرْفَعُ أَكْفُ الضَّرَاعَةِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَصَائِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ الْعَفْوَ عَن زَلَّتِهِ، وَآخِرُ يَطْلُبُ إِلَيْهِ التَّوْفِيقَ لِطَاعَتِهِ، وَثَالِثٌ يَسْتَعِيدُ بِهِ مِنْ عُقُوبَتِهِ، وَرَابِعٌ يَرْجُو مِنْهُ جَمِيلَ مَثُوبَتِهِ، وَخَامِسٌ شَغَلَهُ ذِكْرُهُ عَن مَسْأَلَتِهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنْتِ عَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٢)، فَاعْتَنِمُوا أَيْهَا الصَّائِمُ نَفَحَاتِ هَذَا الشَّهْرِ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ

(١) سورة السجدة / ١٦ .

(٢) سورة الزمر / ٩ .

صَلِحًا ثُمَّ أَهْتَدَى ﴿١﴾، وَهَذَا الشَّهْرُ فُرْصَةٌ لِإِحْيَاءِ الْقَلْبِ وَإِيفَاضِهِ مِنْ غَفْلَتِهِ، وَمُنَاسِبَةٌ لِنَقْوِيَةِ الصَّلَاةِ بِاللَّهِ، وَقِيَامِ اللَّيْلِ مِنَ الْوَسَائِلِ الْمُهِّمَةِ فِي ذَلِكَ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْأَثَرِ: ((عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ؛ فَإِنَّهُ دَابُّ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَهُوَ قُرْبَةٌ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ وَتَكْفِيرٌ لِلْسَّيِّئَاتِ وَمَنْهَاءٌ عَنِ الْإِثْمِ)).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

إِنَّ التَّرْبِيَةَ الْجَمَاعِيَّةَ مِنْ أَمِّ مَا يَتَرَبَّى عَلَيْهِ الصَّائِمُونَ، وَيَكْتَسِبُهُ الْمُخْلِصُونَ الْقَائِمُونَ، وَأَوَّلُ مَظَاهِرِ هَذِهِ التَّرْبِيَةِ وَحْدَةُ الْعَمَلِ، وَوَحْدَةُ مَوَاقِبَتِ الْإِمْسَاكِ وَالشَّرْبِ وَالْأَكْلِ، فَفِي النَّهَارِ إِمْسَاكٌ مُشْتَرَكٌ فِيهِ عَنِ الْمَفْطَرَاتِ، وَبِاللَّيْلِ اجْتِمَاعٌ عَلَى مَا أَحَلَّ اللَّهُ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْحَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْحَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْآيِلِ﴾ (٢)، إِنَّ هَذِهِ الْوَحْدَةَ فِي التَّرَكِّ وَالْإِتْيَانِ، أَرْضِيَّةٌ صُلْبَةٌ لِلتَّرْبِيَةِ الْجَمَاعِيَّةِ الْقَائِمَةِ عَلَى الْوَحْدَةِ وَالْإِحْسَانِ، الْمَصُونَةِ بِسِيَاحِ الْبِرِّ وَالْإِيمَانِ، ثُمَّ تَتَوَاتَرُ الْأَوْامِرُ الشَّرْعِيَّةُ، وَتَتَوَالَى لِلصَّائِمِ التَّوَجُّهَاتُ النَّبَوِيَّةُ، لِتَغْرَسَ فِيهِ الْإِحْسَانَ بِالمَسْئُولِيَّةِ الْجَمَاعِيَّةِ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: ((كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجُودَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجُودَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ))، وَالْجُودُ - عِبَادَةُ اللَّهِ - أَنْوَاعٌ مُتَعَدِّدَةٌ وَأَشْكَالٌ مُخْتَلِفَةٌ، أَلَا وَإِنَّ مِنْ أَبْرَزِ خِصَالِ الْكَرَمِ وَأَنْبَلِ أَنْوَاعِ الْجُودِ الْإِحْسَانَ إِلَى الْعِبَادِ وَإِيصَالَ النِّعَمِ إِلَيْهِمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ؛ مِنْ إِطْعَامِ جَائِعٍ وَإِعَانَةِ مُحْتَاجٍ، فَرَمَضَانُ فُرْصَةٌ لِتَرْبِيَةِ الرَّحْمَةِ فِي النُّفُوسِ، حَتَّى تُعَايِشَ الْجَسَدَ الْوَاحِدَ الَّذِي يُؤَلِّمُ بَعْضُهُ أَلْمَ بَعْضٍ، فَمِنْ سُنَنِ الْحَيَاةِ أَنَّ الرَّحْمَةَ تَظْهَرُ عِنْدَ الْإِحْسَانِ بِالْأَلْمِ، وَأَنَّ الطُّغْيَانَ يَنْشَأُ عِنْدَ الْغَفْلَةِ مَعَ الْأَمْنِ وَالْغِنَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ، أَن رَّاهُ اسْتَعْتَفَ﴾ (٣)، وَهَذَا بَعْضُ السِّرِّ الْجَمَاعِيِّ فِي الصَّوْمِ، إِذْ هُوَ حَرْمَانٌ مَشْرُوعٌ، وَتَأْدِيبٌ بِالْجُوعِ، وَخُشُوعٌ لِلَّهِ وَخُضُوعٌ، يَسْتَنْبِرُ الشَّفَقَةَ، وَيَحْضُ عَلَى

(١) سورة طه / ٨٢ .

(٢) سورة البقرة / ١٨٧ .

(٣) سورة العلق / ٦-٧ .

الصَّدَقَةَ، فَيَشْعُرُ الصَّائِمُ بِأَلَامِ الْمَحْرُومِينَ، وَيَسْتَشْعُرُ حَالَ إِخْوَانِهِ الْمُحْتَاجِينَ، وَيَتَذَكَّرُ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ. وَلَا تَقِفُ التَّرْبِيَةُ الاجْتِمَاعِيَّةُ لِلصَّوْمِ عِنْدَ حَدِّ إِسْدَاءِ الْمَعْرُوفِ، بَلْ تَتَعَدَّى ذَلِكَ إِلَى الْأَمْرِ بِتَحْمُلِ الْأَذَى، وَالصَّبْرِ عَلَى الْإِسَاءَةِ مِنَ الْأَخْرَيْنِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ((إِذَا كَانَ يَوْمٌ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرِفْثْ وَلَا يَصْنَبْ، فَإِنْ شَاتَمَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي أَمْرٌ صَائِمٌ))، وَقَدْ حَثَّنَا سُبْحَانَهُ عَلَى مُقَابَلَةِ الْإِسَاءَةِ بِالْإِحْسَانِ، فَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿وَلَا تَسْتَوِيَ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(١)، بِهَذَا تَقْوَى رَوَابِطِ مُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِينَ، وَيَعِيشُونَ إِخْوَةً مُتَحَابِّينَ. أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِنَّ التَّرْبِيَةَ السُّلُوكِيَّةَ مِنْ أَمَمٍ أَهْدَافِ الصِّيَامِ، إِذْ يَتَرَبَّى الْمُسْلِمُ عَلَى خَيْرِ الْكَلَامِ، بِتِلَاوَةِ مَا أَنْزَلَ عَلَى خَيْرِ الْأَنْبَاءِ ﷺ، وَالْقِيَامِ بَيْنَ يَدَيْ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَالْإِبْتِعَادِ عَنِ النَّصْرَفَاتِ السَّيِّئَةِ، الْقَوْلِيَّةِ مِنْهَا وَالْفِعْلِيَّةِ؛ لِأَنَّ الصِّيَامَ الْحَقَّ يَجْمَعُ بَيْنَ التَّقْوَى الْحَسَنِيَّةِ وَالتَّقْوَى الْمَعْنَوِيَّةِ، فَمَنْ أَخْلَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُمَا فَمَا اسْتَكْمَلَ الصِّيَامَ، يُؤَكِّدُ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: ((مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ اللَّهُ حَاجَةً فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ))، إِنَّ رُؤْيَا هَلَالِ الصِّيَامِ فِي السَّمَاءِ لَهُوَ إِشَارَةٌ لِبَدَأِ قُوَّةِ الْإِرَادَةِ وَالْعَزِيمَةِ، فَالصَّوْمُ يُدْرَبُ الْمُسْلِمَ عَلَى أَنْ يَمْتَنِعَ بِاخْتِيَارِهِ عَنِ شَهْوَاتِهِ وَمَلَذَاتِهِ، فِي إِرَادَةٍ قَوِيَّةٍ ثَابِتَةٍ، لَا يَضِيرُهَا كَيْدُ الشَّيْطَانِ، وَلَا تَعْدُو عَلَيْهَا عَوَادِي الشَّهْوَةِ، إِنَّ هَذِهِ الْإِرَادَةَ وَهَذِهِ التَّرْبِيَةَ الرَّمَضَانِيَّةَ يَجِبُ أَلَّا تَذْهَبَ أَدْرَاجَ الرِّيَّاحِ، بَلِ الْوَاجِبُ أَنْ تَرَسَخَ فِي النُّفُوسِ، وَأَنْ تَكُونَ جُزْءًا لَا يَتَجَزَّأُ مِنْ كِيَانِنَا، حَتَّى إِذَا انْتَهَى الشَّهْرُ بِقِيَّتِ أَثَارُ هَذِهِ الْإِرَادَةِ وَهَذِهِ التَّرْبِيَةِ فِي النُّفُوسِ، فَلَا يَكُونُ ذَهَابُهَا إِلَّا حِينَ تَرُوحُ الرُّوحُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^(٢)، إِنَّ هَذَا الْمَنْهَجَ الْقَوِيمَ، لَا يَبَالُهُ إِلَّا مَنْ وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى الصَّبْرِ عَلَى الطَّاعَةِ، وَعَوَّدَهَا الصَّبْرَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا

(١) سورة فصلت / ٣٤ .

(٢) سورة الحجر / ٩٩ .

وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١﴾، وَرَمَضَانُ شَهْرُ الصَّبْرِ وَمَدْرَسَتُهُ، وَلِهَذَا وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ سَمِيَ شَهْرَ رَمَضَانَ شَهْرَ الصَّبْرِ، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((الصَّوْمُ نِصْفُ الصَّبْرِ)).

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَتَفَقَّهُوا فِي مَقَاصِدِ مَا تَأْتُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَأَحْسِنُوا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ؛ يُحَقِّقِ اللَّهُ لَكُمْ جَمِيلَ الْأَمَالِ، وَيُحَسِّنُ عَاقِبَتَكُمْ وَالْمَالَ. أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يُسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

*** **

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَرَ بِالصَّبْرِ وَالْمُصَابِرَةِ، وَحَثَّ عَلَى النُّظَامِ وَالْمُتَابِرَةِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلِي الصَّلَاحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ قُدْوَةُ الصَّابِرِينَ، وَأُسْوَةُ السَّالِكِينَ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَعَلَى أَتْبَاعِهِ وَحِزْبِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

إِنَّ الْمُتَمَامِلَ لَشَهْرِ رَمَضَانَ، وَمَا فِيهِ مِنْ صِيَامٍ وَقِيَامٍ وَتِلَاوَةِ قُرْآنٍ؛ يَجِدُهُ مَحَطَّةً لِلتَّرْبِيَةِ الْفِكْرِيَّةِ، وَتَقْوِيَةِ الْقُدْرَاتِ وَالْمَدَارِكِ الْعَقْلِيَّةِ، وَبَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى الْمَشَاعِرِ النَّفْسِيَّةِ، لِمَا فِيهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَتَدْبِيرِ كِتَابِهِ وَهُدَاةِ، فَذَكَرُ اللَّهُ هُوَ قُوَّةُ الْقُلُوبِ وَحَيَاتُهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿٢﴾، وَجَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ))، وَأَفْضَلُ الذِّكْرِ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ، وَلِكِي يَسْتَفِيدَ الْمُسْلِمُ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ الْعَظِيمِ لَا بُدَّ مِنْ رَبَطِهِ بِعِبَادَةِ التَّفَكُّرِ وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّذَكُّرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿كُنْتُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِيَذَّبَرُوا عَيْنَهُ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٣﴾، فَهَلَّا نَتَدَبَّرُ كِتَابَ اللَّهِ - إِخْوَةَ الْإِيمَانِ -، إِنَّهُ لَحَرِيٌّ بِنَا فِي هَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ أَنْ نَتْلُو الْقُرْآنَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، تِلَاوَةً يَشْتَرِكُ فِيهَا اللِّسَانُ

(١) سورة آل عمران / ٢٠٠ .

(٢) سورة الرعد / ٢٨ .

(٣) سورة ص / ٢٩ .

وَالْعَقْلُ وَالْقَلْبُ، فَحَظُّ اللِّسَانِ تَصْحِيحُ الحُرُوفِ بِالتَّرْتِيلِ، وَحَظُّ العَقْلِ تَفْسِيرُ المَعَانِي، وَحَظُّ القَلْبِ الاتِّعَاضُ وَالتَّأَثُّرُ، فَاللِّسَانُ يُرْتَلُّ، وَالعَقْلُ يُتَرْجَمُ، وَالقَلْبُ يَتَّعِظُ، فَيَا مَعْشَرَ المُؤْمِنِينَ، وَيَا جُمُوعَ الصَّائِمِينَ: اغْتَنِمُوا الوَقْتَ فِي هَذَا الشَّهْرِ، فَأَيَّامُ المَوَاسِمِ مَعْدُودَةٌ، وَأَوَاقَاتُ الفَضَائِلِ مَشْهُودَةٌ، وَفِي رَمَضَانَ كُنُوزٌ غَالِيَةٌ، فَلَا تُضَيِّعُوهَا بِمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ مَتَى تَرْجِعُونَ إِلَى اللَّهِ، وَلَا تَدْرُونَ أَتَدْرِكُونَ رَمَضَانَ الآخَرَ أَمْ لَا تَدْرِكُونَهُ؟ وَاللَّيْبُ العَاقِلُ مَنْ نَظَرَ فِي حَالِهِ، وَأَصْلَحَ نَفْسَهُ قَبْلَ أَنْ يَفْجَأَهُ المَوْتُ؛ فَيَنْقَطِعَ عَمَلُهُ.

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى إِمَامِ المُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الغُرِّ المُحَجَّلِينَ، فَقَدْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلًا عَلِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي العَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَن خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَن أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ، وَعَن سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَن المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَقَرُّفَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَقَرُّفًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الِهُدَى وَالتَّقَى وَالعَفَافَ وَالعِنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلًّا مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا مُنِيبًا، وَعَمَلًا صَالِحًا زَاكِيًّا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِينًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلَالًا طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمِدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِينَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْمُسْتَغْفِرِينَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالْأَسْحَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثَمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ.

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ

يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.